مجلة الدراسات التاريخية
مجلد23 العدد 02 السنة2023 ص ص437/468
E-ISSN : 2588-2090
ISSN: 1111-3707

الحياة الاجتماعية بتلمسان ونواحيها خلال العهد العثماني 1518-1830.

Social life in Tlemcen and its environs during the Ottoman era 1518-1830.

ط.د. محمد بن عدي [1] أ.د معمر العايب [2]
[1] جامعة تلمسان، mohammed.benaddi@univ-tlemcen.dz
[2] جامعة تلمسان ، mamar.laib@univ-tlemcen.dz

تاريخ الاستلام: 10 / 10/ 22 تاريخ القبول: 21 / 10/ 22

Abstract:
This article aims to open a window of the social history of Tlemcen during the Ottoman era, where the student of the history of Tlemcen during this period faces a number of difficulties, including the lack of scientific material, and this difficulty increases if the subject is related to economic and social aspects, the available is only some excerpts that exist In the sources that date back to that historical era, and this is due to the situation in which the city and its surroundings have become, as it lost all its roles that it used to play during previous stages, especially during the Zayani era, and its geographical location may have an impact on this retreat, as it is located on the border with Morocco. Al-Aqsa, which was in constant conflict with the new masters of Algeria, the Ottoman Turks.

Keywords:
Tlemcen; Nedroma; Social life; Andalusians; the ottoman era.

الملخص:

يرمي هذا المقال إلى فتح نافذة من تاريخ تلمسان الاجتماعي خلال العهد العثماني، حيث يواجه الدّارس لتاريخ تلمسان خلال هذه الفترة جملة من الصعوبات، منها نقص المادة العلمية، والظاهران هذه الصعوبة تزداد إذا تعلق الموضوع بالجوانب الاقتصادية والاجتماعية، فالمتوفر لا يعدو أن يكون بعض المقتطفات الموجودة في المصادر التي تعود إلى تلك الحقبة التاريخية، ويرجع ذلك إلى الوضع الذي أصبحت تعيشه المدينة ونواحيها ، حيث فقدت كل أدوارها التي كانت تمارسها خلال مراحل سابقة،وخاصة خلال العهد الزياني، وقد يكون لموقعها الجغرافي أثر في هذا التقهقر، فهي تقع على الحدود مع المغرب الأقصى الذي كان في صراع دائم مع أسياد الجزائر الجدد، أي الأتراك العثمانيون .

الكلمات المفتاحية: تلمسان؛ ندرومة؛ الحياة الاجتماعية؛ الأندلسيين؛ العهد العثماني.

1. مقدمة:

في مطلع القرن السادس عشر بدأت ملامح المجتمع التلمساني تأخذ شكلا جديدا أكثر تنوعا وثراءً،بسبب التغيّر الديمغرافي الكبير في التركيبة السكانيّة لمدينة تلمسان ونواحيها، حيث عُدّت تلمسان إحدى الحواضر الجزائرية التي اكتسبت أهمية كبرى في شتى المجالات خلال فترات طويلة من التاريخ عامّة، وفي العهد الزياني خاصّة، غير أنّ دورها تراجع بشكل ملحوظ خاصة في ظل التنافس والصراع بين حكام العرش الزياني والعثمانيين والإسبان منذ عهد عروج وإلى غاية إلحاق المدينة بالإيالة الجزائرية من قبل حسن بن خير الدين في عام 1555م، هذا إلى جانب قربها من المغرب الأقصى الذي كان في صراع دائم مع العثمانيين، كل هذه الأحداث أدت إلى انقسام الآراء بين سكان المدينة وخاصة نخبتها المتمثلة في العلماء والأعيان وأصحاب الرأي من الحكام الجدد، فمنهم من ساندهم ومنهم من عارضهم ومنهم من وقف على الحياد.نتج عن كل ذلك أن عرفت تلمسان نزيفا خطيرا في علمائها، فمثلا بعد فشل

E-ISSN : 2588-2090
ISSN: 1111-3707

الحملة السعدية لاحتلال تلمسان، رافق السلطان السعدي عند مغادرته للمنطقة في عام (968هـ/1560م) عدد كبير من العلماء. فاستقروا هناك وتولوا الوظائف الدينية كالقضاء والإفتاء وتواصل هذا النزيف طيلة هذا العهد.

رغم كل هذه كل الأحداث والوقائع والتطوّرات التي عرفتها تلمسان خلال ذلك العهد، بالإضافة إلى الصّراع الاجتماعي بين فئات المجتمع التلمساني كالأتراك والعرب والكراغلة واليهود والأندلسيين، فإنّ ذلك لم يؤثر سلبا على الوضع الاجتماعي حيث عرف المجتمع التلمساني حركة ونشاطا شمل كل المجالات، وهذا ما نستخلصه من وثائق المحاكم الشرعية التي وثقت تلك الحركية سواء فيما يخص قضايا الأحوال الشخصية أو المعاملات،لتتأكد لنا في خِضِمّ هذه اللّمعات الإشكاليّة تسليط الأضواء حول الطبقات الاجتماعية في تلمسان العثمانية؟ وتقييم هي وقعها وفعاليتها داخل المجتمع ؟.

اعتمدنا في هذا البحث على المنهج التاريخي السردي الذي يتناسب مع الموضوع لسرد تسلسل الأحداث والحقائق التاريخية الماضية المتناولة في دراسة الموضوع، ولأن المنهج التاريخي قائم على استقصاء المعلومات من مصادرها، ويتخلله المنهج التحليلي لأنه يدرس ويحلل القضايا المطروحة.

2. الحياة الاجتماعية بتلمسان ونواحيها خلال العهد العثماني:

قبل استعراض ملامح الحياة الاجتماعية، علينا أن نشير إلى التركيبة البشرية في مدينة تلمسان ونواحيها، حيث كانت تتكون من مجموعات عرقية متنوعة منها الأتراك العثمانيين والكراغلة والحضر والأندلسيين واليهود وجماعة البرانية،

متوزعين على مناطق متنوعة نذكر منها ندرومة، أولاد ميمون، بني سنوس، بني صميّل، عين الحوث..الخ.

أمّا عن الكثافة السكانية فيذكر لنا الرّحالة الحسن الوزان بعد رحلته إلى تلمسان في الربع الأول والثاني من القرن السادس عشر الميلادي: "لا يسكنها إلا القليل من الناس[1] ويمكن إسناد ذلك إلى التخريب الذي كانت تتعرض له المدينة وقتل سكّانها، ويُضيف حديثه عن الفئات الاجتماعية قائلًا ":وينقسم جميع أهل تلمسان إلى أربع طبقات، الصناع، والتجار، والطلبة والجنود"[2]

وقد فصّل في كل طبقة من حيث الحالة الاجتماعية واللباس..الخ كما ساقه الحديث إلى حاشية الملك ومصالحها ووظائفها سواء المهمة منها أو الأقل أهمية.

ويذهب القسيس Barges أنّ التركيبة السكانية في مدينة تلمسان خلال القرن التاسع عشر كانت تتكون من مجموعات عرقية متنوعة منها، الحظر والأوروبيون والكراغلة واليهود. أمّا التعداد السكاني للمدينة، فإنّ المؤلّف يذكر أنّ سكان المدينة قد تناقص عددهم إلى النصف طبعا هو لا يقف في مؤلفه على خلفيات هذا التناقص، وإنّما يشير إلى أنّ عدد سكان المدينة قبل سنة 1833م كان حوالي 20000نسمة ليصل سنة 1846م 6826نسمة، مقسمين على 2670 كرغلي، 2070من الحضر ، و1585 من اليهود، و500 من الأوروبيين، لكنّ هذا الإحصاء الذي أورده وجاء يه Barges أنّ غير كامل باعتبار أنّه لم يتضمن كل الفئات والشرائح الاجتماعية الأخرى، مثل الأندلسيين، جماعة الأشراف ، البرانية والدخلاء، ضف إلى ذلك سكان الأرياف الذين كانوا يمثّلون قئات لابأس بها من التركيبة السكانية للمجتمع التلمساني.

يواجه الدّارس للحياة الاجتماعية في الجزائر خلال العهد العثماني ثلاث عوامل أثرّت فيه، الأول هجرة الأندلسيين التي بدأت تتوافد خلال القرن التاسع وتقوّت خلال العاشر، والثاني الوجود العثماني نفسه، والثالث هو الوجود المسيحي واليهودي[3].

E-ISSN : 2588-2090
ISSN: 1111-3707

وإذا أمحصنا وفحصنا خلايا المجتمع، وجدنا العثمانيين يأتون في أعلى السلّم، حيث كانوا يحتكرون السلطة، فمنهم البايات والبشوات والوزاراء...، ولا يكاد يخلو مصدر عن العهد العثماني دون أن يصدمه شيوع الرشوة والفساد والجور والاستغلال، الذي كان يمارسه العثمانيون في الجزائر، ومنها تلمسان[4].

يواجه الدّارس لتاريخ تلمسان خلال العهد العثماني جملة من الصعوبات منها نقص المادة المصدرية، وتزداد هذه الصعوبة إذ تعلق الموضوع بالجوانب الاقتصادية والاجتماعية، فالمتوفر لا يعدو أن يكون بعد المقتطفات الموجودة في المصادر التي تعود إلى تلك الحقبة التاريخية، ويرجع ذلك إلى الوضع الذي أصبحت تعيشه المدينة وأحوازها حيث ففقدت كل أدوارها التي كانت تمارسها خلال مراحل سابقة، وخاصة خلال العهد الزياني، وقد يكون لموقعها الجغرافي أثر في هذا التقهقر، فهي تقع على الحدود مع المغرب الأقصى الذي كان في صراع دائم مع أسياد الجزائر الجدد، أي الأتراك العثمانيون.

1.2مكوّنات المجتمع التلمساني في العهد العثماني:

يبدو أن الأصول العريقة لعناصر سكان مدينة تلمسان كانت متشبعة، بحيث يصعب على الباحث الإلمام بكل مكوّناتها، ويعود السبب في ذلك إلى نقص الوثائق من جهة وإلى التمازج، الذي حدث بين السكان الأصليين من البربر، وبين الأجناس الأخرى التي حلت بها منذ الفتح العربي الإسلامي في نهاية القرن الأول الهجري، السابع الميلادي كالعرب اليمنيين والمضريين والشاميين والعراقيين والأندلسيين والفرس والأغزاز والقبط والأعلاج المماليك والعبيد السود فضلاً عن جنسيات مختلفة أخرى

من أوربا ويهود وغيرهم ممن تسربوا إلى مدينة تلمسان وحطوا رحالهم فيها في شكل مجموعات كبيرة أو صغيرة أو فرادى على مر السنين والقرون.[5]

أ. البربر

فتلمسان هي دار مملكة زناتة وموسطة قبائل البربر وكانت المدينة سوقا من أسواق زناتة[6] وقد كانت خاضعة لسيطرة الرومان ثم آلت إلى ملوكها الأقدمين وهم بنو عبد الواد المنتمون إلى مغراوة، بعد أن أجلي الرومان عن إفريقيا وقد احتفظوا بالملك مدة ثلاثمائة سنة[7] ولما كان إنتهاء بني عبد الواد إلى زناتة البربر وجب أن نعرف أولاً أن البربر بغيض زناتة فيهم فنقول أن البربر أمة عجمية عمرت الشام من ادن الطوفان تعرف ملوكهم بالجواليت واختلف في أصلهم النسابون، قال السهيلي والمسعودي والفضاء هم أولاد بربر بن كنعان بن حام.[8]

ويبدو أن القبائل المقيمة بناحية تلمسان كانت خاضعة إبان الفتح العربي في أوائل القرن 7م لفرع من بني يفرن إحدى قبائل زناتة الرئيسية وكانوا رعاة رحل كما كنا يحتل تلك الناحية إلى الشرق فرع هام من أعظم شعوب زناتة وهم مغراوة وكان بنو عبد الواد إذ ذاك -وهم ينتسبون إلى بني واسين الذين يعدون من زناتة- يخيمون بالزاب والأوراس.[9]

أما بنو يفرن فقد إنهارت سلطتهم لدى الفتح الفاطمي في القرن 10م لصالح مغراوة الذين لم يفقدوا الملك بتلمسان إلا عند سقوط المدينة في أيدي المرابطين عام 472هـ/1079م وفي ذلك العهد إستقر بنو عبد الواد جنوبي وهران الحالي بعد أن طردهم العرب بنو هلال من زاب قسنطينة.[10]

إذن فقد كانت تلمسان دار مملكة زناتة وحواليها قبائل كثيرة من زناتة وغيرهم من البربر[11] فدولة زناتة المغراويين واليفرنيين بالمغرب وقيام ملكهم وأول ملك منهم بالمغرب زيري بن عطية بن عبد الله بن تبادلت بن محمد بن خزر الزناتي المغراوي الخزري في سنة 368 فقام في المغرب وغلب على مدينة تلمسان ومدينة تنس ومدينة

E-ISSN : 2588-2090
ISSN: 1111-3707

وهران[12] وبالتالي نجد أن غالبية سكان مدينة تلمسان يتشكلون من زناتة ولاسيما منها قبيلة مغيلة ومغراوة وبني يفرن الذين اختطوا مدينة أكادير قبل الفتح العربي لها وبقيت هذه القبائل تهمين على المدينة وعلى الغرب الجزائري وتتداول السلطة عليها عدة قرون حكمها بنو يفرن ومغيلة ومغراوة ولحقها فلول من بني زيري وأقاموا بها.

وسكنها المرابطون الصنهاجيون وشيدوا محلتهم تاكرارت، وانتقلت إليها بعض العائلات الموحدية وخاصة من هنتاتة ومصمودة وكوميةّ، فكانت تلمسان لذلك العهد نزلاً للحامية الموحدية ومقرًا للحاكم وقرابته.

ولمّا صارت مدينة تلمسان عاصمة بني زيان عاد إليها نفوذ زناتة فاحتكرت حمايتها من جديد ونقل إليها بنو عبد الواد عشيرتهم وقبيلتهم وقبائل أخرى من بني عمومتهم من بني توجين، وبني راشد وبني زردال، وبني عصاب وجماعة من أولاد منديل وغيرهم من الزنانيين الذين تركوا خيامهم وسهولهم ووفدت إليها جالية من هوارة.[13]

ولمّا كانت مملكة تلمسان تبتدئ غربًا في سهل قفر وعر يابس لا ماء فيه ولا شجر يعيش فيها عدد من الغزلان والوعول والنعام. فهي مأوى لعصابة لصوص من الأعراب على استعداد دائم للفتك بالمارين من هناك حيث الطريق المؤدية من فاس إلى تلمسان وقلمَّا ينجو التجار من شرهم لاسيما في فصل الشتاء لأن الأعراب المستأجرين للحفاظ على الأمن البلاد يكونون قد رحلوا عنها آنذاك ويبقى منهم غير المستأجرين وحدهم ليتعيشوا من اللصوصية.[14]

ولقد كانت لغة تلمسان كغيرها من شعوب الإفريقية حيث تستعمل لغة واحدة يطلق عليها اسم "أوال أمزيغ" أي الكلام النبيل بينما يسميها العرب "البربرية" وهي اللغة الإفريقية الأصلية الممتازة والمختلفة عن غيرها من اللغات ولما كانت

مشتملة على عدد من المفردات العربية استدل البعض بذلك على أن الأفارقة ينتمون إلى السبئيين وهم سكان اليمن لكن أنصار الرأي المخالفين يؤكدون أن هذه المفردات إنما أدخلها العرب عندما جاؤوا إلى إفريقيا وفتحوها وكانت هذه الشعوب في حالة من البداوة والجهالة.[15]

وكان لسكان تلمسان بمختلف فئاتهم وانتماءاتهم العرقية يستعملون لغاتهم ولهجاتهم الخاصة ويتم ذلك على نطاق ضيق. أما اللغة المتداولة والمستعملة بصفة رسمية في المجتمع التلمساني فهي اللغة العربية وإلى جانبها اللسان الزناتي الإسلامي، وجعل منهم مجتمعًا موحدًا في العادات والتقاليد والسلوكات يتحدث أغلبهم اللغة العربية، لأنها لسان الملّة وبها نزل القرآن الكريم.[16]

ب. **العرب :**

عند توافد العناصر المشرقية بمدينة تلمسان منذ دخول الفاتحين المسلمين لها كانت تلمسان أيام الفتح موطن الصنهاجين وقد أسلمت زناتة البربرية واستعربت وتأثرت تأثيرًا عميقا بالغزوة الهلالية وأصبح الزناتيون متعربون في أسلوب الحياة والتفكير خلال القرن 7هـ.

فكما أقام اليفرنيين دولة ناحية تلمسان فقد شارك المغراويين في إقامة دولة الأدراسة.[17]

ولقد استمر العنصر العربي في التدفق إلى بلاد المغرب في عهد الولاة خلال القرن الثاني الهجري الثامن الميلادي[18] وبالتالي تلمسان توسطت قطرًا ذا كُوَر عديدة تعمرها أمشاج البربر والعرب[19] ونزلها محمد بن سليمان بن عبد الله بن حسن بن حسن بن علي رضي الله عنهم وكان هذا المغرب الأوسط قد تملكه العلويين من بني إدريس واتسموا بالخلافة[20] ولما نزل إدريس ﷺ بخارج تلمسان وأتاه أميرها محمد بن خزر المغراوي الخزري وبايعه من هناك من القبائل ودخل تلمسان صارت فيما بعد تلمسان مقرًا مفضلاً للأشراف الحسنين.[21]

ج. **الحضر والسكان المحليين:**

E-ISSN : 2588-2090
ISSN: 1111-3707

تتشكل طبقة الحضر من المجموعات السكانية القاطنة بالمدينة والتي تعود أصولها إلى الفترة الإسلامية، وتمثّل العائلات الحضرية المتأصلة بالبلاد، حيث شكلت هذه الطبقة في أواخر العهد العثماني فئة ذات فعالية اجتماعية، وقد تميز الحضر بعاداتهم وتقاليدهم الخاصة وبوضعهم الاجتماعي المميز، ممَا جعلهم يؤلفون طبقة اجتماعية ميسورة ويشتغل أفرادها في المهن الصناعية "الأعمال النجارية"، ويتولَون وظائف السلك الثقافي والتعليمي وقد ظهر في هذه الطبقة الصنَاع المهرةوالتجار النشيطون والبحَارة المغامرون والفقهاء والعلماء الأفاضل ومن أهم العناصر التي كانت تتشكل منها طبقة الحضر[22]:

إلاّ أنّ هذه الطبقة عرفت تراجعًا وتدهورَا، نظرا إلى التحولات الداخلية والخارجية التي شهدتها مدينة تلمسان ونواحيها، بعدما أدّت أدوارا مهمّة بارزة مسّت جوانب تاريخية وحضارية للمجتمع التلمساني، إلاّ أنّ هذه التحولات، التي كانت المدينة مسرحا لها، ساهمت في انكماش وتقلص دور فعاليات هذه الطبقة في الحياة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية.

حيث ذكر لنا Barges "بأن أفرادها استقروا في الجهة الشمالية من المدينة وأنّ أصولها تعو إلى العرب الذين فتحوا افريقيا" ثمّ ينتقل إلى النشاطات التي كانت تمارسها هذه الطبقة، ويحصرها في المجال الصناعي والزراعي، إلاّ أنّه يؤكّد أنّ النشاط الصناعي كان الأبرز، وهذا من خلال تخصص أفرادها في الصناعات النسيجية والحرفية، وانّها كانت تمارس نشاطها في حي السويقة، الذي أضحى سوقا صغيرا في أحد شوارع المدينة، وكان هذا الأخير يتكون من عدد من الورشات والدكاكين والمخازن، تباع فيه الملابس القطنية والحريرية من برانس وحياك،

والأسلحة و أدوات المطبخ، وهذا التنوع في البضائع جعله قبلة للتبضع من طرف سكان المدينة ونواحيها.

د. الكراغلة:

تعد أهم الفئات الاجتماعية في بعض المدن الجزائرية بعد فئة الأتراك العثمانيين والأعلاج نظرًا لما كانت تتمتع به من امتيازات مادية والتمتع ببعض التسهيلات ، كإعفائهم من بعض الضرائب ، وقد ظهرت هذه الفئة لأول مرة في المدن ولعل من بين الباحثين الذين خاضوا في هذا الموضوع "عائشة غطاس"التي ذكرت أنّ لبدايات الأولى لظهور الكراغلة كفئة مستقلة ومتميزة كان متأخرا إذ تعود إلى سنة1596م[23]،من خلال هذا الطرح التاريخي للدكتورة عائشة غطاس نستنتج بأن تاريخ ظهور هذه الفئة يعود إلى عهد الباشوات (1588_1659م، وهذا أمر مستبعد نظرا لعدة معطيات فرضت نفسها على أرض الواقع، ولكننا عند وقوفنا على عبارة "مستقلة ومتميزة تأكد لنا على أن التاريخ الذي اقترحته ليس هو البداية الفعلية وإنما سبقتها سنوات سابقة ولكن ظهور هذه الفئة كفاعل اجتماعي مهم لم يظهر بعد

والمتتبع للأحداث التاريخية يمكنه اعتبار بدايات ظهور الكراغلة في الجزائر مرتبط ببدايات التواجد العثماني في البلاد؛ فالمصاهرة الأولى التي أنجبت أول كرغلي في الجزائر كانت بين خير الدين واحدى العائلات الجزائرية، فقد أكّد خير الدين هذا الأمر إذ ذكر في مذكراته أنه تزوج من امرأة عربية من بنات أحد أعيان الجزائر[24]، التي تقيم بها الحاميات التركية كمدينة الجزائر و تلمسان و معسكر و قلعة بني راشدو مستغانم و مازونة و مليانة [25] ، و أصبحوا في أواخر القرن 10ه/16م يشكلون قوة متميزة تنافس الأتراك العثمانيين في الامتيازات [26].

كراغلة" مفردها "كرغلي"، وهي عبارة تركية متكونة من شقين "قول" "وأوغلي" وتعني "إبن العبد[27]"، ولقد اجتمعت معظم الدّراسات التاريخية التي اهتمت بدراسة

E-ISSN : 2588-2090
ISSN: 1111-3707

تاريخ الجزائر الحديث إذا لم نقل جلّها على تعريف موحد للمصطلح الذي يفيد في مفهومه العام «الأبناء الناتجين عن زواج الأتراك من نساء الأهالي[28].

ومع اجماعهم في تعريف موحد للمصطلح إلا أنّهم اختلفوا في تحديد الانتماء، فهناك فريق من الباحثين أكد على أنّهم "أبناء الأتراك من أمهات جزائريات"[29]، فيما يؤكد فريق آخر على أنّ هذه الفئة نتجت عن مصاهرة الجند الانكشارية[30] لبعض العائلات الجزائرية[31].

فالاختلاف بين الفريقين يكمن في التعميم والتخصيص، فالفريق الأول أكّد على أن ظهور هذه الفئة كان نتاجا عن زواج الأتراك المدنيين والعسكريين على حد سواء من نساء جزائريات، فيما خص الفريق الثاني العناصر العسكرية فقط هذه المصاهرة. ولعلّ هذا الفريق استند في توجهه هذا على أنّ الجند الانكشاري منعوا من الزواج قبل مجيئهم إلى الجزائر ولكن بمجرد استقرارهمبهذه الأخيرة ولطول فترة تواجدهم كان لزامًا عليهم الزواج بالجزائريات عكس العنصر المدني الذي سمحت له السلطات العثمانية باصطحاب عائلته معه إلى الولايات العثمانية عموما والجزائر على وجه الخصوص.

وبعد البحث والتقصي توصلنا إلى فرضية يمكننا من خلالها التأسيس لتاريخ محدد لظهور هذه الفئة، فالأغلبية يعلمون أنّه ومن بين الذين قدّموا الدّعم المعنوي والمادي لعروج ثم من بعده خير الدين أحمد ابن القاضي، زعيم امارة كوكو[32] الذي كان خير معين ومؤيد لهم. فهو من ساند العثمانين عسكريا عندما حاول الاخوة بربروس تحرير مدينة بجاية سنة 1514م ، وهو من أجبر سالم التومي[33] زعيم امارة الثعالبة على الاستنجاد بالإخوة لتحريرهم من قيود الاسبان[34] لمتواجدين في قلعة البنيون مند سنة 1511م، وهو أيضا من أوكلت له مهمة رئاسة السفارة التي حملت

الرسالة إلى السلطان العثماني سليمان قصد الحاق الجزائر بالخلافة العثمانية وتعيين خير الدين حاكما عليها بالنيابة عنه. فكل هذه المعطيات تؤكد على أن المقصود من ابنة أحد الأسر الجزائرية العريقة هي ابنة ابن القاضي .فنظرا لمكانة ابن القاضي الاجتماعية والسياسية رأى خير الدين أن الارتباط به بالمصاهرة سوف يمكنه من تثبيت وجوده في الجزائر و تكوين عصبية تسانده وتقف إلى جانبه خاصة وأن طبيعة المجتمع الجزائري القبلية اقتضت ذلك.

وقد أكدت بعض الدّراسات التاريخية أن حسن أغا هو أول كرغلي نتج عن زواج خير الدين بابنة ابن القاضي. وكان الكراغلة يملكون ثروات ويستثمرونها في المزارع ويترفعون عن خدمة الأرض أو القيام بأعمال يدوية[35]، وقد تكاثر عدد هذه الجماعة مع مر السنين وأصبحوا يكونون غالبية سكان تلمسان وأصحاب الرأي فيها[36].

ففي مدينة تلمسان مثلا، كان الكراغلة يشكلون الأغلبية، ويؤلفون شبه حكومة خاصة بهم، ويتقاسمون المدينة مع جماعة الحضر، ولهم ديون خاص بهم وصلاحيات واسعة معترف بها، فكان يسمح لهم جمع الضرائب من المناطق الجبلية، مثل بني سنوس وندرومة وترارة[37]. وأعتقد أنّ السبب الذي جعل السلطة المركزية تمنح وتقدّم نسبة من الحرية والامتيازات لكراغلة تلمسان يعود إلى بعد المسافة عن مركز السلطة، وإلى طبيعة بايلك الغرب، الذي كثرت فيه القبائل الممتنعة عن دفع الضرائب علاوة على الوجود الإسباني في مدينة وهران، وإلى قرب تلمسان من المغرب الأقصى.

وبالنسبة لتوزيع الكراغلة في تلمسان حيث كان لهم حي خاص بهم يقع في الجنوب يشمل المشور، حيث كان هذا الأخير له بابان وسور ويوجد به مايزيد عن مائة منزل وبه مسجد، وفي مدينة ندرومة فقد توزع الكراغلة والأتراك عبر أحيائها الخمسة: وهي التربيعة الذي شكّل الحي المركزي وحي بن عفان في الغرب، وحي بني زيد

E-ISSN : 2588-2090
ISSN: 1111-3707

في الشرق، أمّا المنطقة الشمالية فكانت تضمّ حي الخريبة في الشرق وحي السوق في الغرب [38]

أمّا عن أعداد هذه الفئة في مدينة تلمسان ونواحيها خاصة أواخر العهد العثماني فإنّه كان في تزايد مستمر، وكان يُحدد ذلك مدى ارتباط الأتراك العثمانيين بالأهالي ومصاهرتهم لهم، فقد جاء فب إحدى الدراسات التي اعتمد صاحلها على التقارير التي اعدّها الضباط الفرنسيين لأغراض استعمارية، خلال السنوات الأولى من الاحتلال الفرنسي أنّ الكراغلة في تلمسان بلغت أعدادهم حوالي خمسمائة جندي في تلمسان[39] .

هـ. اليهود:

أمّا عن طائفة اليهود في تلمسان، فقد تكونت هذه الفئة داخل المجتمع التلمساني من ثلاث مجموعات:

المستقرة بالبلاد منذ القدم أو ممّن وفد إليها من خلال الهجرات الأندلسية أو الطائفة اليهودية ذات الأصل الأندلسي، حيث أقاموا في مدينة تلمسان بأعداد كبيرة اعتبرت الأعلى والأكبر في بايلك الغرب[40]، في حين بلغت أعدادهم في ندرومة 15 بالمائة من العدد الإجمالي للسكان في المدينة[41].

كان يهود تلمسان يمارسون طقوسهم الدينيّة في خمسة معابد كانت منتشرة في المدينة، إلاّ أنّ وضعيتها ومكانتها لا تختلف عن وضعية معالم المدينة التاريخية الأخرى[42]. لقد كان اليهودفي تلمسان يقيمون بحي أطلق عليه اسم: الحي اليهودي، الذي كان يتواجد قريبا من الحي الرسمي للمدينة، مقر إقامة الجهاز الإداري والعسكري وكان يتواجد بمحاذاة المشور، وعُرف هذا الحي بأهميته حيث كان يضمّ

تقريبا 500منزل، وكان جلّ سكانه أثرياء، ويعتبر الحي الأكثر سكانا، وكان ذا موقع هام يتوسط المدينة، ما بين المشور والأحياء العربية الأخرى[43].

كما كانت هناك لتجمعاتهم السكانية مايميزهم، فيرتدي يهود مدينة تلمسان ونواحيها ملابس عادية واضعين عليها غفارة سوداء، وعمامات صفراء[44]، وقد ساق لنا الحسن الوزان بفوله: " **أنّ يهود حارة تلمسان يلتثمون رؤوسهم عمامات صفراء** " كما تحدّث صاحب كتاب وصف إفريقيا عن محزرة طالت حارة اليهود بتلمسان، التي كانت تضمّ نحو خمسمائة دار، كلّهم تقريبا أغنياء خُرّبت جرّاءها دُورهم ونُهبت أموالهم سنة 1516م، حتى صاروا يتكففون الناس...[45]

ليتعرض بعد ذلك يهود تلمسان في نهاية النصف الأول من القرن السادس عشر 16م، إلى نكبة من طرف حاكم وهران الإسباني الكونت دالكودات سنة 1544م[46]، وذلك لإستحواذهم على التجارة والسياسة المالية في مخزن بني زيّان، وقد كلّف إسبانيو وهران يهود المدينة بجباية قبائل بني عامر وأعراش المنطقة المتاخمة للمدينة حينها[47].

أمّا نشاط هذه الطائفة وبصفة خاصة العائلات الغنيّة منها، فقد كانت تمارس نشاطها التجاري في محيط قلعة المشور، تمتهن تجارة الخردوات والملابس، مثل الجوارب والمحارم والشالات الإنجليزية، التي كانوا يأتون بها من تطوان وطنجة المغربيتين، ويذكر القسيس Barges سلوكا اتصف به تجار اليهود، وكان شائعا بين الوسط التجاري التلمساني، وهو ممارسة التهريب والتظليل[48].

و. رعية نواحي تلمسان:

كان يوجد بتلمسان قائدان، قائد المدينة وقائد الجبل:

قائد المدينة كان يتحكّم في : بني وعزان، الغسول، أولاد العبدي، وبني سنوس، وبني ورنيد، وولهاصة .

قائد الجبل ويتحكّم في: أولاد رياح، أولاد رياش، بني صميل، بني بوسعيد، وغيرها.[49]

ز. الأندلسيين:

E-ISSN : 2588-2090
ISSN: 1111-3707

فالأندلسيون هم أهل الأندلس[50] وفي الحقيقة الجغرافية هم سكان إسبانيا الجنوبية وربما أصل الكلمة من الوندال.

والمراد بلفظ الأندلس إسبانيا الإسلامية وبصفة عامة أطلق هذا اللفظ في بادئ الأمر على شبه الجزيرة الأيبيرية كلُها على اعتبار أنها كانت جميعا في يد المسلمين ثم أخذ اللفظ يقل مدلوله الجغرافي شيئا فشيئا تبعا للوضع السياسي الذي كانت عليه الدولة الإسلامية حتى صار لفظ الأندلس آخر الأمر قاصرا على مملكة غرناطة، كما أنها تسمية أطلقها المسلمون على شبه جزيرة إيبيريا تعريبا لكلمة فندلوشيا التي كانت تطلق على الإقليم الروماني[51] باطقة BATICA الذي أقتلته قبائل الوندال ما يقارب عشرين عاما وأعطته اسم فندال Vandales.[52]

وقد قصد الأندلسيون مدينة تلمسان بعد الطرد النهائي لهم مابين السنوات 1017هـ/ 1609م، 1224هـ/ 1616م[53] ، فكانت قبلتهم ووجهتهم في بادئ الأمر المدينة، أين عرفت هذه الفئة اندماجًا وانصهارًا سريعًا مع الفئات الموجودة هناك داخل المجتمع التلمساني، غير أنّ المدينة لم تعد قادرة على استيعاب كل هذه الأعداد الكبيرة، التي قاربت أعدادها في بعض الروايات التاريخية سكان تلمسان في حدّ ذاتهم، في المقابل عرفت تنقل أعداد لابأس بها إلى نواحي تلمسان " ندرومة " عين فزة" بني صميل " باب الجياد[54]" القور" بني سنوس" وحتى أولاد ميمون" .

ويمكن تفسير تزايد اهتمام الأندلسيون بتلمسان في عدّة جوانب فإذا نظرنا إلى الجانب الجغرافي لوجدنا أنّ المنطقة تتمتع بموقع إستراتيجي هام يتلخص في كونها مقابلة للسواحل الإسبانية خاصة منها ساحل المرية وهي بهذا الموقع كانت منطلقا لنشاط تجاري كبير جعلها من أكبر المراكز التجارية أهمية في بلاد المغرب الأوسط فقد كانت تلمسان تمثل ملتقى القوافل[55]التجارية القادمة من إسبانيا والمغرب

الأقصى ممَا مكّن الأندلسيون من الاتصال بسكان المنطقة وسهّل تأقلم الجالية الأندلسية معهم فضلا عن اتساع مساحتها الأمر الذي ساعد على استيعابها لعدد كبير منهم وهذا لا يعني بأي حال من الأحوال أن الأندلسيين فاقوا السكان الأصليين عددا، أما الجانب الآخر الذي دعم استقرار الجالية الأندلسية هو الجانب العسكري[56].

احتفظت تلمسان بعائلات أندلسية قبل وأثناء العهد العثماني على غرار السَّرّاج، القَرمُوني نسبة إلى قرمونة(carmona) قرطبي نسبة إلى قرطبة، شَبلي نسبة إلى مدينة إشبيلية، كازي[57] السرقُسطية، العشعاشي التي قدمت إلى تلمسان من مستغانم، التي كانت أوّل محطّة لها بعد اللجوء، الاندلسي، العَزُوني، الحصّار المنجذرة من إشبيلية، أسرة العقباني التلمسانية الشهيرة والعريقة من أصل أندلسي التي يشتهر من بين أفرادها العالم محمد بن أحمد العقباني التلمساني صاحب كتاب "تحفة الناظر وغنية الذاكر في حفظ الشعائر وتغيير المناكر"، كما أنّ شقيقات والده متزوجات لدى عائلات حضرية تلمسانية، من بينها عائلة الحصار المنحذرة من إشبيلية . ونذكر من العائلات التي تحوّل اسمها بلكنة عثمانية في العهد العثماني عائلة آل بن رضوان إلى برَّزْوان والتي يوجد عدد من أفرادها في تلمسان وحتى الجزائر، ويعتقد أنّ أصولها من مالقة .

وفي منطقة تلمسان أيضا، في شرقها تحديدا، توجد قبيلة بني الصُميئل أوبني صميل، كما تنطق محليا، وهب فرع من قبائل مضر العربية التي كانت متواجدة في الأندلس قبل انتقالها إلى الغرب الجزائري جِيَّان واستقرارها في المنطقة التي تحمل اسمهم اليوم وهي بلدة بني صميل التابعة لأولاد ميمون.و إلى جانب هذه المنطقة توجد في سهل غريس بين تلمسان ومعسكر قبيلة أخرى أندلسية من أصل عربي تنحدر من بني حمود الأندلسيين وهي قبيلة أولاد سيدي دحُّو أبو زرفة المنتشرة بين تلمسان وعين تموشنت ومعسكر. ارتبطت قبيلة أولاد سيدي دحُّو بعلاقات احترام كبير وتعاون مع النظام العثماني حتى أنّ مساجدها كانت توفّر الحصانة لكل لاجئ

E-ISSN : 2588-2090
ISSN: 1111-3707

إليها مهما كانت جُنْحَتُه وحتى في حال تعرضه بسوء للعثمانيين، في المقابل لم يتوفر لدينا من المعلومات التاريخية حول هذه المنطقة سوى أنها احتضنت المهاجرين الأندلسيين الذين عمّروها وحوّلوها إلى بلدة صغيرة، إلاّ أن بعض الروايات من هنا وهناك تؤكّد أنذ سكانها الأصليين الذين يعود تواجدهم بها إلى العهد العثماني ينحدرون من أصول أندلسية

كما أن تأثير العنصر الأندلسي في تلمسان كان عميقا فقد طوّروا المدينة وكذلك المهن التي كانت بها والأشغال اليدوية واستصلحوا الأراضي وأنشأوا السواقيوجلبوا المياه كما أنهم عملوا على انتشار بعض التأثيرات الإسبانية كاستعمال العملة الفضية والذهبية[58].

- **نَدْرُومَة:**

ارتبطت مدينة ندرومة العتيقة هي الأخرى ارتباطا وثيقا بالربوع الأندلسيّة، أين أصبحت ملجأً للأندلسيين الهاربين من القتل والاضطهاد بعد سقوط غرناطة من جهة، ومن جهة أخرى عدم اتّساع مدينة تلمسان لأعدادهم الكبيرة خاصة خلال الفترة العثمانية مسلمين كانوا أو يهودًا، الذين كاموا يصلونها عبر ميناء هنين القريب وأيضا من مدينة وهران المحتلة.ومنذ ذلك هذا العهد أصبح ندرومة حاضِرة أندلسيّة بامتياز مُحافظةً على أصالتها وعلى روحها الإيبيرية بِتشبّثها بالعادات والتقاليد والطقوس الأندلسيّة/ الموريسكيّة، وتمسّكها الشديد بالحرف والمهن العتيقة خاصة في القرنين 16م و 17م بعد قدوم الأندلسيين و المورسكيين إليها.

حتى لهجة ندرومة تتميّز بطابع حَضَرِي، ونَحمل في طيّاتها بصمات اللسان الأندلسي، وإلى غاية القرن التاسع عشر 19م لم يكن ممكنًا مصادفة مثل هذه اللهجة في غير ندرومة في منطقة الغرب الجزائري باستثناء أكبر حاضرة هي تلمسان

أو منطقة فلاوسن التي تبعد عن مدينة ندرومة بنحو 20كلم من الجهة الشرقية لها ، وإلى حدّ ما الغزوات ومْسِيرْدَة والتي تتشارك جميعها في أنّها آوت اللاجئين الأندلسيين ، لكنّ سكّان ندرومة لهم خاصيّة إضافية على المستوى اللساني تتميّز في نطقها حرف الضاد (ض) تاءً، ونفس الشيء بالنسبة لحرف القاف، هذه الخاصيّة نجدها عند سكان بلنسية وكتالونيا في شرق إسبانيا، حيث يتميّز لستنهم بالخاصيّة ذاتها عندما يتحدثون بلغتهم حيث أنّهم لايقولون للجامعة أُونِفِرْسِدَادْ)(universidad كما وهو الحال في اللغة الإسبانية المنحدرة من القشتالية القديمة بل (أُونِيفِيرْسِتَات)، هذا التمازج والتماثل يسمح بالإستنتاج أنّ موريسكي ندرومة ينحدرون من منطقتي بلنسة وكتالونيا.

ومن بين العائلات المنحدرة من هؤلاء الأندلسيون في مدينة ندرومة خلال الفترة العثمانية نذكر: رَمْعُون، سَلاَّس(نسبة إلى صالاس و بَطْلِيوس، أو سَلَّس، بن عاشور، رحّال، نقّاش، غَفور ، بوعْنَانِي، كَرَّار، غَرْنَاطِي (نسبة إلى غرناطة)، اللوشي (نسبة إلى لوشة) .

- **هُنَيْن:**

على غرار ندرومة، عرفت بلدةُ هُنَيْن الساحلية، المتميزة بمرساها التجاري الثمين للمنطقة برمتها، مصيرا أندلسيا مشابها لِما شهدته المدن الساحلية بشكل عام والغربية منها بشكل خاص لقربها الجغرافي من سواحل الأندلس التي كانت تقلع منها سفن ومراكب اللاجئين باتّجاه الضفة الجنوبيّة للبحر الأبيض المتوسط. هنين لها ميناء صغير محروس ببرجين، كل واحد منهما في جهة، وتَحيط بها أسوار عالية متينة، لاسيما من جهة البحر، وتأتي إلى الميناء سنويا سفن شراعية من البندقية تحقق أرباحا جسيمة مع تجار تلمسان خصوصا في القرن السادس عشر 16م.

- **أَرَشْكُول:**

وغير بعيد عن ندرومة وهنين، عَمّر الأندلسيون بلدة أخرى وهي بلدة أَرَشْكُول أو رَاشْغونْ، القريبة من عين تموشنت والواقعة عند مصيب وادي تافنة.

E-ISSN : 2588-2090
ISSN: 1111-3707

وقد كانت مدينة في غاية الحضارة، يقول فيها الحسن الوزان:" **موضحاً أنّها توسّعت وازدهرت في عهد الحكم الإدريسي ثمّ دمّرها أحد ملوك القيروان، على حدّ تعبيره فبقيت خالية من السكان زهاء مائة عاما إلى أن أعاد بناءَها قوم جاؤوا من مملكة الأندلس كع جيش المنصور (بن أبي عامر) حاجب ملك قرطبة**". ومازالت عائلات في المنطقة تنحدر من هؤلاء المهاجرين واللاجئين تُقيم في هذه المدن والبلديات إلى اليوم بعد أن اختلطت بالمصاهرة مع العثمانيين وسكان المنطقة من حضر وقبائل بدوية تأثّرت بهم وأثّرت في بعض العادات والطبائع وحتى في اللغة المنطوقة .

- **الغزوات:**

تُعدّ منطقة الغزوات هي الأخرى من المناطق التي استقطبت واحتضنت المهاجرين الأندلسيين، وقصدها مسلمون ويهود، ومن بين العائلات الأندلسية التي استوطنت المدينة وهي عائلة يهودية عائلة بن سوسان، التي تركت الجزائر عشية استقلالها وخروج المحتل الفرنسي ملتحقة به، حسب شهادة الكاتب آلبير بن سوسان المنحدر من هذه الأسرة، فلإنّ العائلات المسلمة بها أكثر عددا، وإن تلاشت ذاكرة الجذور في الأذهان بعد كل هذه القرون ومتخللها من أحداث ونوائب، نجد منهم أسرة بَزْغُودْ المسلمة فهي من العائلات القديمة المعروفة في الغزوات حيت بها قائمة من الأندلس في القرن السادس عشر 16م، وامتزجت بالمصاهرة مع العثمانيين الذين كانوا قد وطّدوا أقدامهم تدريجيا في البلاد الجزائريّة ابتداءً من أواسط العقد الثاني من القرن ذاته ونسجوا روابط قويّة مع الجاليات الأندلسية المهاجرة أو اللاجئة، وحسب شهادة الباحثة سهام بزغود إحدى بنات هذه البلدة تقول أنّ : "أسرتي حسب ماقيل لي، خليط تركي- أندلسي، لكنّ الأجداد الأوائل الذن حطوا الرّحال كانوا أندلسيين".

3. الوضع الصحي والمعيشي في تلمسان:

يعدّ الاستقرار السياسي والازدهار الاقتصادي والنمو الاجتماعي لأي مجتمع، واقف على مدى قلّة الحروب والفتن والاضطرابات الداخلية، والكوارث الطبيعية والأمراض والأوبئة بذلك المجتمع، هذا التصور العام للمجتمعات بصفة عامة. ومن بوابة التاريخ مع العصر الحديث في العهد العثماني، وبالتحديد في إيّالة الجزائر. تعرضت هاته الأخيرة إلى جملة من الموجات الوبائية والأزمات الصحيّة خاصة في القرنين السادس عشر والنصف الأول من القرن التاسع عشر ممّا أثّر ذلك سلبا على واقع التركيبة الاجتماعية من خلال نمو السكان، والبنية الاقتصادية لإيالة الجزائر، حيث ساعد ذلك على ذلك على تدهور وتردي الأوضاع الصحية فانتشرت الأوبئة الفتاكة التي كانت لها وقع كبير استقرار البلاد في كل المجالات والقطاعات .

1.3الوضع الصحي:

أ- الأمراض والأوبئة:

لقد سجلّت المصادر التاريخية هذه الحقائق والوقائع المؤلمة، أين تعرضت الجزائر بمدنها وأريافها للعديد من الأوبئة والأمراض المتكررة التي فتكت بأعداد كبيرة من الناس، ومن أخطر تلك الأمراض التي تعرضت لها البلاد: الحمى بمختلف أنواعها، الطاعون، الكوليرا، الجدري، التيفوس، داء الملاريا وخاصة بالأهالي القاطنون المستشفيات، فكانوا أكثر عرضة لهذا المرض[59]. في المقابل تأرجحت آليات السلطة العثمانية في التعامل مع هاته الأمراض مابين الصرامة تارة والاستهتار تارة أخرى[60].ضف إلى ذلك ضعف المنظومة الصحيّة في الجزائر في الفترة العثمانية، بحيث اجتمع أغلب الباحثين والمؤرخين على ضعفها مقارنة مع الإمكانيات الصحيّة التي كانت تتمتع بها أوروبا، على اعتبار الاهتمام بالجوانب العسكرية على حساب المجالات ذات الطابع الاجتماعي والثقافي، فإنّ مجابهة الأوبئة المختلفة في هذه الإيالة لم تتضح معاملها من خلال المصادر التاريخية[61] .

E-ISSN : 2588-2090
ISSN: 1111-3707

أمّا عن وضع الطب والعلاج والأطباء بالجزائر فلعل أصدق تعبر ما ذهب إليه الطبيب الرحالة الإنجليزي توماس شوDr thomas shawالذي أكد تدهور وضعية الطب بالجزائر، كما في بقية الولايات العثمانية، وخلص إلى القول: أنّ " الطب لم يكن يسير وفق قوانين معيّنة أو مدارس، بل كان يعتمد على ما ألفه العرف " ولكنه اعترف بقدرة بعض الأطباء الجزائريين على المعاجلة ببعض الأعشاب[62]. "أما عن عدد المشتغلين بالطبفي الجزائر فهو قليل، إلىالحد الذي جعل بعض الرحالة الأوربيين يجزم بعدم وجود طبيب واحد بالجزائر من ذلك لوجي دوتاسيLaugie de tassyالذي زار الجزائر سنة 1724م، وذهب إلى أنّ:" العرب لا يعرفون طبيبا غير الطبيعة "، وأنّه " لا يوجد أي طبيب لا في مدينة الجزائر، ولافي أي ناحية من المملكة[63]، ولكن الحكم ليس على هذا الإطلاق فالواقع على الرغم من عدم وجود أطباء متخرجين من مدارس طبية، فقد وجد بعض الأطباء التقليديين المهرة، الذين أحرزوا نجاحا في معاجلة بعض الأمراض بالطرق التقليدية البسيطة، في مقابل ذلك لا يمكن والإقرار بأي حال من الأحوال ما ذهب إيه آراء الأجانب الذين كتبوا حول هذا الموضوع بالنظر إلى طبيعة العصر، وذهنية المجتمع، وطبيعة الحكّام، لأنّه رغم ذلك لم يخل الأمر من مساهمات فاعلة من طرف علماء جزائريين، أين تركوا لنا مصنفات علميّة طبيّة في هذا المجال، شهد لها الأوروبيون أنفسهم.

لقد تعرضت تلمسان ونواحيها هي الأخرى إلى سلسلة من الأمراض والأوبئة التي فتكت بالمجتمع التلمساني فلم تكن هذه الأخيرة خالية من هاته من هاته الآفات المختلفة والكوارث الطبيعية، أدّت إلى زعزعة استقراره الاجتماعي والاقتصادي بتناقص السكان في الأرياف والمدن، فقد كانت الحالة الصحيّة والمعاشية للمجتمع تأثيرا حاسم على الوضع الديمغرافي للمدينة والريف (نواحي تلمسان) على حدّ سواء.

يقول في هذا الصدد أبو القاسم للزياني التي كانت له نيّة الاستقرار في تلمسان إلاّ أنّه عدل عنها بقوله " ثم بعد إقامتنا بها سنة ونصفها، خرجنا منها إلى مدينة الجزائر فرارا من الوباء الذي حل بها وكان عاما في العمائر التي بينها وبين الجزائر، فما زلنا منزلا إلا وجدنا أهله يدفنون موتاهم".

يذكر حسن الوزان في بداية القرن السادس عشر أنّ العلوم الطبيّة كانت تدري في تلمسان بمدارس مدينة تلمسان، وهناك إقبال من جانب الطلبة على دراسة هذه العلوم حيث يقول " وكسر من الطلبة والأساتذة في مختلف المواد، سواء في الشريعة أو في العلوم الطبية وتتكفل المدارس الخمس بمعاشهم بكيفية منتظمة[64].

ب- **كوارث الطبيعية**

ج- **المجاعات**

كما وقعت في زمن محمّد المقلش مجاعة أثرت على أهل تلمسان حتى قامت حرب بين الكراغلة والحضر، فتدخل الباي بإحضار 900جمل تحمل القمح الذي صودر من مطامير بني عامر إثر مشاركتهم مع ابن الشريف الدرقاوي في ثورته ضد البايلك[65]، حيث يذكر عنها المزاري: " **لا حادثة أشد في أيام الباي المقلش من الغلاء المفرط وفناء الناس[66]**" ، وفي منتصف سنة 1827مفي فترة حكم الباي حسن " وقع غلاء عظيم وقحط في الناس إلى أن صار الباشا يفرق الخبز صغيرا كالرغيف على الناس فسمي العام بعام خبز الباشا[67].

4.الخاتمة:

إنّ ما أوردناه فيما تقدّم معنا دراسة موضوع الحياة الاجتماعية في تلمسان ونواحيها خلال العهد العثماني وتتبع واقعه وفعالياته عبر ثلاثة قرون من الزمن والذي لم يكن في أي حال من الأحوال يكفي لبناء صورة وافية عن هذه الدّراسة، سمح لنا باستخلاص جملة من النتائج وتسجيل بعض الملاحظات يمكن أن نجملها في النقاط التالية:

E-ISSN : 2588-2090
ISSN: 1111-3707

- أول ما يجب الإقرار به بأنّ طبقات المجتمع التلمساني في العهد العثماني عاش في ظروف اجتماعية ملائمة وشكلوا بذلك نموذجا للتسامح والتعايش، بل تقلدوا مناصب عليا كقياد عسكريين، وكانوا من أرباب التجارة والمهن والصنائع على غرار الأندلسيين واليهود، ممّا عزّز مكانة تلمسان افتصاديا وحتى سياسيا، ونتج عن ذلك علاقة تأثير وتأثر وتفاعل احتماعي.

- تأثير الفئة الوافدة كالأتراك والموريسكيون على المجتمع التلمساني بفضل المصاهرة أو المجاورة، وهذا ما نتج عنه ظهور نوع جديد من الألبسة أو الأطعمة والموسيقى.

- استقطبت تلمسان عددا هاما من العثمانيين الذين تصاهروا لتتشكّل فئة الكراغلة فيها فجاءت نتيجة ظروف تاريخية وهي نتاج لعلاقات مصاهرة بين الوافدين العثمانيين مع العنصر المحلي ولاسيما مديمة تلمسان، في حين تراوحت مكانتهم بين مدّ وجزر بسبب مواقفهم المعادية للسلطة السياسية والعسكرية.

5. قائمة المراجع:

المؤلفات:

- ✓ ابن أبي زرع، أبو الحسن علي بن محمد الفاسي (ت بعد 726هـ/1326م)، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، مطبعة دار المنصور، الرباط ، 1972م.
- ✓ ابن الأحمر: تاريخ الدولة الزيانية بتلمسان، تحقيق هاني سلامة، ط1مكتبة الثقافة الدينية مصر، 1421هـ-2001م.

- ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون المسمّى العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، ضبط المتن ووضع الحواشي والفهارس: خليل شحادة، مر: سهيل زكار، دار الفكر، بيروت، 1421هـ/2000م.
- ابن خلدون، مقدّمة، تح: عبد الله محمد الدّرويش، دار يعرب، دمشق، ط1، 1425هـ/2004م.
- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي(1500-1830)، ج1، دار الغرب الإسلامي، ط2، بيروت، 1989.
- أبو راس الناصري، عجائب الأسفار ولطائف الأخبار، ج:1 ،در - تح بوركبة محمد ، الجزائر : المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، ط1 ،2011.
- أماني بنت جعفر بن صالح المغازي، دور الإنكشارية في إضعاف الدولة العثمانية، دار القاهرة :ط1 ،2007 .
- البكري،أبو عبيد عبد الله الأندلسي، المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، دت.
- جميلة معاشي، الإنكشارية والمجتمع بباياك قسنطينة فيبداية العهد العثماني، رسالة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه العلوم في التاريخ الحديث، قسنطينة: جامعة منتوري، 2007 -2008م.
- الحسن بن محمد الوزان الفاسي ، وصف أفريقيا، ترجمة محمد حجي و محمد الأخضر ، دار الغرب الإسلامي ، الجزء الأول، الطبعة الثانية، 1983 ص
- الحميري، محمد بن عبد المنعم، الروض المعطار في خبر الأقطار، تح : إحسان عباس، مكتبة لبنان، بيروت، ط2، 1984م.
- رريب الله حاج أحمد، شلف الأسفل إبان العصر الوسيط المتأخر والعصر الحديث، دار بن حمدة للطباعة والنشر، شلف، 2022.
- الرقيق القيرواني: تاريخ إفريقية والمغرب، تحقيق محمد زينهم محمد غرب، ط1، دار الفرجاني للنشر والتوزيع، القاهرة، 1414هـ، 1994م.

E-ISSN : 2588-2090
ISSN: 1111-3707

- ✓ صالح عباد، الجزائر خلال الحكم التركي 1514-1830م ،دار هومة :ط2007.
- ✓ عائشة غطاس، الحرف والحرفيون بمدينة الجزائر 1700 -1830 (مقاربة اجتماعية – اقتصادية)، منشورات ANEP، د ط ،د س ط.
- ✓ عبد الجليل التميمي، تراجيديا طرد المورسكيين من الأندلس والمواقف الإسبانية والعربية الإسلامية منها، منشورات الدراسات والترجمة الموريسكية ، 2011.
- ✓ عبد الحميد بن آشنهو، دخول الأتراك العثمانيين إلى الجزائر، الجزائر، دط ، د س ن.
- ✓ عبد الرحمن بن محمد الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، ج 3، :الجزائر،ديوان المطبوعات الجامعية، د ط، د س ط .
- ✓ عبد العزيز سالم: في تاريخ وحضارة في الأندلس، مؤسس الشباب الجامعة الإسكندرية، 1998.
- ✓ عبد العزيز فيلالي، تلمسان في العهد الزياني،موفم للنشر، الجزائر، 2022.
- ✓ علي الجزئاني: جَنَى زهرة الآس في بناء مدينة فاس، تحقيق عبد الوهاب ابن منصور، ط2، المطبعة الملكية، الرباط، 1411هـ-1991م.
- ✓ عمار بن خروف، العلاقات السياسية بين الجزائر في القرن العاشر هجري- السادس عشر الميلادي، دار الأمل، 2006
- ✓ عمار بوحوش، التاريخ السياسي للجزائر من البداية ولغاية 1962م، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1997م.
- ✓ عمر سعيدان، علاقات إسبانيا القطلانية بتلمسان، في الثلثين الأول والثاني من قرن14م، ط2، منشورات ثالة، الجزائر، ، 2011.
- ✓ فلة موساوي القشاعي، الواقع الصحي والسكاني في الجزائر أثناء العهد العثماني وأوائل الاحتلال الفرنسي 1518- 1871، منشورات بن سنان، الجزائر، دون تاريخ نشر.

- ✓ فوزي سعد الله، الشتات الأندلسي في الجزائر والعالم، دار قرطبة للتوزيع والنشر، الجزائر، 2016.
- ✓ محمد الطمار، تلمسان عبر العصور . دورها في سياسة والضرارة الجزائر .، ديوان المطبوعات الجاممية، الجزائر، 2007..
- ✓ مؤلف مجهول، الاستبصار في عجائب الأمصار، تح: سعد زغلول عبد الحميد، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، دت.
- ✓ مؤلف مجهول، غزوات عروج وخير الدين، تص تع: نور الدين عبد القادر، الجزائر: المطبعة الثعالبية، د ط، 1934.
- ✓ ناصر الدين سعيدوني ، الشيخ المهدي بوعبدلي :**الجزائر في تاريخ العهد العثماني**، ج4، م، و،ل،ك، الجزائر ،1984.
- ✓ يحيى بن خلدون، أبو زكريا يحيى بن أبي بكر محمد (ت780هـ/1378م)، بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، مطبعة بيير فونطانا الشرقية، الجزائر، 1321هـ/1903م.

المؤلفات الأجنبية:

- ✓ De Tassy laugrer : histoire de royaume d'alger, ed :1, paris, 1992.
- ✓ EsterhazyWalsin, Domination turque dans l'ancienne régence d'Alger, Paris :Librairie de Charles Gosselin, 1840.
- ✓ Georges Marcais , Tlemcen (Les Villes d'art célèbres), Librairie Reynouard, H. Laurens, Paris 1950,p93.
- ✓ Haedo Diego, Topographie et histoire générale d'Alger, Tra : A. Berbugger et D' Monnereau, R.A, 1870, T : 14.
- ✓ L'algérie un siècle avant l'occupation française (au 18 ème siècle), tèmoignage de Shaw. Traduit par :j .Mac.Carthy. paris:Editione lmprimerie de carthage)2 e èd) ,1968.
- ✓ Laugier de Tassy,Histoire du royaume l'AlgerParis:Editions loysel,1992.p:82.

E-ISSN : 2588-2090
ISSN: 1111-3707

✓ P.Boyer«**le problème Kouloughli dans la régence d'Alger**», in ROM Nº spécial, Aix, 1970,

المقالات:

✓ محمد بن يوسف الزياني، دليل الحيران وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران، تقديم وتعليق: المهدي البوعبدلي، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، ط2، الجزائر، 2007.

✓ عائشة غطاس، الحرف والحرفيون بمدينة الجزائر 1700 -1830 (مقاربة اجتماعية – اقتصادية)، منشورات ANEP، د ط ،د س ط.

✓ الغالي غربي ، أوضاع مدينة تلمسان وأحوازها في الخمسينات من القرن التاسع عشر من خلال كتاب ...، العدد 17، الجزائر ، 2011.

✓ الغالي غربي ، أوضاع مدينة تلمسان وأحوازها في الخمسينات من القرن التاسع عشر من خلال كتاب ...، العدد 17، الجزائر ، 2011.

✓ غراف هجيرة، السلطة العثمانية وآليات الوقاية من الأوبئة في إيالة الجزائر، الحجر الصحي أنموذجا، مجلة القرطاس للدراسات الفكرية والحضارية، المجلد 7، العدد 02، تلمسان، الجزائر، جويلية 2020،

✓ المزاري بن عودة، طلوع سعد السعود في تاريخ وهران ومخازنها الأسود، مخطوط متحف زبانة، وهران.

رسالة ماجستير أو دكتوراه:

✓ الواليش فتيحة، الحياة الحضارية في بايلك الغرب الجزائر خلال القرن الثامن عشر، رسالة ماجيستر، جامعة الجزائر، 1993-1994.

6. الهوامش:

[1]- الحسن بن محمد الوزان الفاسي ، وصف أفريقيا، ترجمة محمد حجي و محمد الأخضر ، دار الغرب الإسلامي ، الجزء الأول، الطبعة الثانية، 1983 ص، ص 23.

[2]- عمار بن خروف، العلاقات السياسية بين الجزائر في القرن العاشر هجري- السادس عشر الميلادي، دار الأمل، 2006، ص 132-134.

[3]- عمر سعيدان، علاقات إسبانيا القطلانية بتلمسان، في الثلثين الأول والثاني من قرن14م، ط2، منشورات ثالة، الجزائر، ، 2011، ص 27- 34.

[4]- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي(1500-1830)، ج1، دار الغرب الإسلامي، ط2، بيروت، 1989، ج1، ص147.

[5] عبد العزيز فيلالي، تلمسان في العهد الزياني،موفم للنشر، الجزائر، 2022،ج1، ص170.

[6] البكري،أبو عبيد عبد الله الأندلسي، المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، دت، ص ص 76-79 أنظر أيضا/ الحميري، محمد بن عبد المنعم، الروض المعطار في خبر الأقطار، تح : إحسان عباس، مكتبة لبنان، بيروت، ط2، 1984م، ص135. / يحي بن خلدون، أبو زكريا يحي بن أبي بكر محمد (ت780هـ/1378م)، بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، مطبعة بيير فونطانا الشرقية، الجزائر، 1321هـ/1903م، ص21.

[7] الوزان: المصدر السابق، ج2، ص7.

[8]يحى ابن خلدون: المصدر السابق، ص 89.

[6]الوزان:المصدر السابق،ص7

[10] نفسه، ج2، ص7.

[11]مؤلف مجهول، الاستبصار في عجائب الأمصار، تح: سعد زغلول عبد الحميد، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، دت، ص176.

[12] ابن أبي زرع، أبو الحسن علي بن محمد الفاسي، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، مطبعة دار المنصور، الرباط ، 1972م، ص102.

[13] ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون المسمّى العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، ضبط المتن ووضع الحواشي والفهارس: خليل شحادة، مر: سهيل زكار، دار الفكر، بيروت، 1421هـ/2000م، ج7، ص ص 24-205.

[14] الوزان: المصدر السابق، ج2، ص9.

[15]المصدر نفسه،ج1، ص39.

[16] ابن خلدون، مقدّمة، تح: عبد الله محمد الدّرويش، دار يعرب، دمشق، ط1، 1425هـ/2004م، ص780.

E-ISSN : 2588-2090
ISSN: 1111-3707

[17] ابن الأحمر: تاريخ الدولة الزيانية بتلمسان، تحقيق هاني سلامة، ط1مكتبة الثقافة الدينية مصر، 1421هـ-2001م، ص ص 11-65.

[18] الرقيق القيرواني: تاريخ إفريقية والمغرب، تحقيق محمد زينهم محمد غرب، ط1، دار الفرجاني للنشر والتوزيع، القاهرة، 1414هـ، 1994م، ص11.

[19] يحى ابن خلدون: المصدر السابق، ص19.

[20] الحميري: المصدر السابق ص135 / يحى ابن خلدون: المصدر السابق، ص21 / مؤلف مجهول: الاستبصار: ص51.

[21] علي الجزئاني: جَنَى زهرة الآس في بناء مدينة فاس، تحقيق عبد الوهاب ابن منصور، ط2، المطبعة الملكية، الرباط، 1411هـ-1991م، ص14.

[22]- ناصر الدين سعيدوني ، الشيخ المهدي بوعبدلي :**الجزائر في تاريخ العهد العثماني**، ج4، م، و،ل،ك، الجزائر ،1984 ، ص97

[23]- عائشة غطاس، الحرف والحرفيون بمدينة الجزائر 1700 -1830 (مقاربة اجتماعية – اقتصادية)، منشورات ANEP، د ط ،د س ط، ص. 26.

[24]- مؤلف مجهول، غزوات عروج وخير الدين، تص تع: نور الدين عبد القادر، الجزائر: المطبعة الثعالبية، د ط، 1934ص. 156.

[25]ناصر الدين سعيدوني ، المصدر السابق،ص94

[26]P.Boyer«**le problème Kouloughli dans la régence d'Alger**», in ROM Nº spécial, Aix, 1970, p80

[27]- جميلة معاشي، الإنكشارية والمجتمع ببايلك قسنطينة فيبداية العهد العثماني، رسالة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه العلوم في التاريخ الحديث، قسنطينة: جامعة منتوري، 2007 -2008م، ص360.

[28] -EsterhazyWalsin, Domination turque dans l'ancienne régence d'Alger, Paris :Librairie de Charles Gosselin, 1840.P : 234

[29]- ينظر كل من: صالح عباد، الجزائر خلال الحكم التركي 1514-1830م ،دار هومة :ط2،2007:، ص 357 : و .عبد الحميد بن آشنهو، دخول الأتراك العثمانيين إلى الجزائر، الجزائر، دط ، د س ن، ص . 88.

[30]- الإنكشارية: كلمة عربية حرفت عن الكلمة التركية عند ترجمتها «يني تشاري"وتكتب بالتركية "يكيجري"وهي مكونة من مقطعين "يكي" yeni بمعنى "جديد "و" جري" cery بمعنى "العسكر . " ينظر:

أماني بنت جعفر بن صالح المغازي، دور الإنكشارية في إضعاف الدولة العثمانية، دار القاهرة :ط1 ،2007 .ص ص: 2،22

[31]- أبو راس الناصري، عجائب الأسفار ولطائف الأخبار، ج:1 ،در - تح بوركبة محمد ، الجزائر : المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، ط1 ،2011، ص36.

[32]-قرية كوكو: تتمركز عند حدود سهول الجزائر؛ يحدها من جهة الجنوب والشرق سلسلة جبال يسكنها أقوام من البربر وزواوة، ومن هذه الجبال المتصلة كلها بالأطلس الكبير جبل يدعى جبل كوكو يبعد عن مدينة الجزائر حوالي ثمانية عشر فرسخا بين الشرق والجنوب، وعن بجاية بخمسة عشر فرسخا من جهة الشرق. ينظر: مارمول كربخال، المصدر السابق ، ص. 134.

[33]- سالم التومي: من بين أهم الزعامات المحلية التي حكمت مدينة الجزائر، هذه الأخيرة امتدت على عهده من دلس شرقا إلى شرشال غربا. تعاون مع الاسبان خوفا من بطشهم وتجنبا لانتقامهم؛ اتهم بالخيانة وأعدم سنة 1516م ينظر: عبد الرحمن بن محمد الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، ج 3، :الجزائر،ديوان المطبوعات الجامعية، د ط، د س ط . ص.15.

[34]- بعد استسلام مدينة الجزائر سنة 1511م توصل الطرفين _ الوفد الجزائري والاسباني_ إلى عقد اتفاقية حددت مدتها الزمنية بعشر سنوات، أهم ما ورد فيها تسليم صخرة الجزائر أو ما عرف في تلك الفترة بـ "اصطفلة" إلى القائد الاسباني ليتخد منها قاعدة عسكرية تراقب عن قرب تحركات الملاحة الجزائرية وحتى الأجنبية ينظر.

Haedo Diego, Topographie et histoire générale d'Alger, Tra : A. Berbugger et D' Monnereau, -R.A, 1870, T : 14. P : 415.

[35] - عمار بوحوش، التاريخ السياسي للجزائر من البداية ولغاية 1962م، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1997م، ص74.

[36] - المرجع السابق، ص43.

[37]- ناصر الدين سعيدوني ، المرجع السابق ص 95

[38]- الوليش فتيحة، الحياة الحضارية في بايلك الغرب الجزائر خلال القرن الثامن عشر، رسالة ماجيستر، جامعة الجزائر، 1993-1994، ص 138.

[39] -EMIRIT M, les tribus privilegiees en Algerie, Op Cit , P46.

[40]- فوزي سعد الله، الشتات الأندلسي في الجزائر والعالم، دار قرطبة للتوزيع والنشر، الجزائر، 2016، ج2، ص28.

[41]- الوليش فتيحة، ص 41.

E-ISSN : 2588-2090
ISSN: 1111-3707

[42]- الغالي غربي ، أوضاع مدينة تلمسان وأحوازها في الخمسينات من القرن التاسع عشر من خلال كتاب ...، العدد 17، الجزائر ، 2011، 175.

[43]- الواليش فتيحة، المرجع السابق، ص 139.

[44]-رريب الله حاج أحمد، شلف الأسفل إبان العصر الوسيط المتأخر والعصر الحديث، دار بن حمدة للطباعة والنشر، شلف، 2022، ص 276.

[45]- الحسن الوزان، المصدر السابق ، ج2، ص20.

[46]-Georges Marcais , Tlemcen (Les Villes d'art célèbres), Librairie Reynouard, H. Laurens, Paris 1950,p93.

[47]- رريب الله حاج أحمد، المرجع السابق،ص 280.

[48]barges

[49] -Esterhazy, De la domination, Op Cit, p271.

[50]- عبد الحميد بن أبي زيان بن آشنهو: المرجع السابق، ص31.

[51] - عبد العزيز سالم: في تاريخ وحضارة في الأندلس، مؤسس الشباب الجامعة الإسكندرية، 1998، ص05.
De Tassy laugrer : histoire de royaume d'alger, ed :1, paris, 1992. Pp 53-54.

[52] - المرجع السابق،ص 05.

[53]- عبد الجليل التميمي، تراجيديا طرد المورسكيين من الأندلس والمواقف الإسبانية والعربية الإسلامية منها، منشورات الدراسات والترجمة الموريسكية ، 2011، ص 26-32.

[54]- هو أحد أبواب السور الذي يحيط بتلمسان، يقع في جهة الشرق الجنوبي من المدينة نحو حوز العباد والوريط. ينظر محمد الطمار، تلمسان عبر العصور ـ دورها في سياسة والضرارة الجزائر ـ، ديوان المطبوعات الجاممية، الجزائر، 2007 ،ص ص 248 249.

[55] - الحاج محمد بن رمضان شاوش: المرجع السابق، ص403.

[56]- نفسه، ص25.

[57]- اللقب كازي، هو في الأصل " قاضي" منطوقة بلكنة تركية / عثمانية، أمّا كازي طاني" أو" كازي طعني" فأصلها قاضي ثاني ةمعروف أنّ العثمانيين والأتراك يلفظزن الحروف "ظ" و"ض" و"ذ" وكأنها "ز" حيث يقولون، كما يجري في مثر التي تأثرت بلسانهم " زرب" بدلا من "ضرب" ويقولون "الزنب" بدلا من "الذنب" و" الزروف "في محل "الظروف".

[58] - ناصر الدين سعيدوني،المرجع السابق، ص98.

[59] -فلة موساوي القشاعي، الواقع الصحي والسكاني في الجزائر أثناء العهد العثماني وأوائل الاحتلال الفرنسي 1518- 1871، منشورات بن سنان، الجزائر، دون تاريخ نشر، ص 253.

[60] - غراف هجيرة، السلطة العثمانية وآليات الوقاية من الأوبئة في إيالة الجزائر، الحجر الصحي أنموذجا، مجلة القرطاس للدراسات الفكرية والحضارية، المجلد 7، العدد 02، تلمسان، الجزائر، جويلية 2020، ص 150.

[61] - المرجع نفسه، ص 153.

[62] - -L'algérie un siècle avant l'occupation française (au 18 ème siècle), tèmoignage de Shaw. Traduit par :j .Mac.Carthy. paris:Editione lmprimerie de carthage)2 e èd) ,1968.p:48.

[63] .. Laugier de Tassy,Histoire du royaume l'AlgerParis:Editions loysel,1992.p:82.

[64] - الحسن الوزان، ج2، المصدر نفسه ، ص 19.

[65] -Esterhazy, De la domination, Op Cit,p 208

[66] - المزاري بن عودة، طلوع سعد السعود في تاريخ وهران ومخازنها الأسود، مخطوط متحف زبانة، وهران، ص 327.

[67] - محمد بن يوسف الزياني، دليل الحيران وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران، تقديم وتعليق: المهدي البوعبدلي، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، ط2، الجزائر، 2007، 247.